Arrasikhun International Journal, Volume 5, Issue 2, December 2019

ISSN: 2462-2508

الماء في القرآن الكريم

د. مصطفى تميمي

أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية/ جامعة صباح الدين زعيم – تركيا

mustafa.temimi@izu.edu.tr

ملخّص البحث

إنّ الماء معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى، وآية من أعظم الآيات الدّالة على قدرته وعظيم وخلقه، فقد خلق الله كل شيء من الماء وجعله سرّ الحياة، فبدون الماء يموت الإنسان والحيوان والنبات وتنعدم الحياة على الأرض، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة وحيثما فُقد انعدمت الحياة. وقد اقتضت مشيئة الله سبحانه ألّا يخلق الماء على هيئة واحدة بل على تنوعٍ يناسب تنوع احتياجات الإنسان. فالماء على الأرض منه العذب الذي يشرب منه الإنسان ويسقي حيواناته ومزروعاته وينظف به نفسه وثيابه وبيته. ومنه المالح وهو ماء البحار الذي يصطاد الإنسان منه لحماً طريّاً ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان، ويستخدمه لسفره وتجارته.

وهذا الماء ذاته يرافق الإنسان في رحلة حياته ليس في الدنيا فحسب، بل في الآخرة أيضاً. فالماء الذي كان نعمة له في الدنيا وشكر الله تعالى عليه وما أشرك به غيره سيكون أيضاً نعمة ونعيماً له في جنات الخلد على شكل ماء سلسبيل يشرب منه للمتعة لا للحاجة، وعلى شكل أنهار تجري من تحت جناته لتكون متعة وتنعيماً له في الجنة بفضل الله ومنته.

وقد ذكر القرآن الكريم الماء بأسماء مختلفة تبعًا للمعنى المقصود في الآية، فتارة يذكره باسم الماء، وتارة المطر، وتارة الغيث وغيرها. وهذه المقالة تتناول أسماء وأنواع الماء المذكور في القرآن الكريم والمعاني المقصودة منها.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، الماء، المطر، السماء، الإنسان.

ISSN: 2462-2508

Abstract

Water is one of God's miracles. Besides, it is one of the biggest proofs for the greatness of God's power and creativity. God has created everything from water. He has rendered water as the secret of life. Humankind, living things and plants cannot survive without water; life on Earth would perish. Where there is water, there is life and where there is no water, there is no life.

God did not create water in one, single form. To the contrary, he created water in different forms so that it would meet the different needs of people. Some of these different forms of water are:

resh water: people drink it, let their animals drink it, water their fields, wash their clothes and clean their homes with it.

Salt water: People obtain fresh meat from seawater, take out pearls and corals from seawater and use the sea for travelling and trade.

In fact, water will not only befriend people in this world, but will also befriend them on their life journey in the hereafter. Water, is a blessing and reward for people in this world. If one does not turn against God, water will not be something that one needs in eternal heaven but will rather be a blessing to take pleasure in. In addition, water will be, as a river flowing below heaven, a reward for humankind through God's grace and benevolence.

Water is the mentioned numerous times in the Holy Qur'an with various names depending on its location and the intended meaning in its usage. Depending on the context of an ayah, it has been mentioned as water, rain, abundance, among many other names. In addition, this article has made its subject of study the names of water in the Holy Qur'an, its types and the meanings intended by them.

Keywords: Water, Qur'an, Life, Proof, Sky.

ISSN: 2462-2508

المدخل:

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن يخلق الماء قبل خلقِ السّموات والأرض كما قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1]. فخلقُ الماءِ قبل خلقِ السّموات والأرض والإنسان يدلّ على أنّ الماء سرّ الوجود، وأنّ فيه حياة الأرض والإنسان والنبات وحياة كل شيء، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]. كما يدلّ قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾[3]على أنّه سبحانه قد خلق كل شيء من الماء وأنّ الماء أساس الحياة.

والمتتبع لنصوص القرآن الكريم يجد أنّ القرآن قد اعتنى عناية كبيرة بذكر الماء وأنواعه وصوره وأشكاله؛ من مطرٍ وأنهارٍ وعيونٍ وبحارٍ وسَحابٍ وأودية، فمن الآيات ما تذكر مصادر الماء ومنها ما تذكر كيفية تجمّعه في السُّحب، ومنها ما يذكّر الإنسانَ بنعمة الماء التي لولاها لما كانت حياة على الأرض، فالحياة على الأرض تعتمد على ماء المطر إمّا مباشرة وإمّا بنشوء الجداول والينابيع والعيون والآبار من المياه الجوفية التي تتسرب إلى باطن الأرض من المطر.

والماء ضروري لحياة الإنسان والحيوان والنبات فلا تستمر الحياة بدونه، والإنسان يحتاج إلى ماء الشرب ليحافظ على حياته، كذلك يحتاجه لطهارته واغتساله ووضوئه، كما يحتاج إليه لغسل ثيابه وتنظيف بيته وبيئته، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[4] كذلك يحتاجه لسقاية حيواناته وسقي مزروعاته. قال تعالى:﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[5]

كما تُعَدُّ البحار والأنهار وسيلة مهمة للتنقّل والسفر، يسافر الإنسان عبرها للتنقل والتجارة وحمل بضائعه من بلدٍ إلى آخر. قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[6].

أهمية البحث: لقد تكررت كلمة الماء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آياته، وهذا التكرر يدل على أهمية موضوع الماء من جهة، وعلى تنوع فوائد الماء واستخداماته وأهميته في حياة الإنسان، إلا أن كلمة الماء في القرآن الكريم لم ترد في جميع المواضع بنفس المعنى بل تعددت المعاني والدلالات التي استخدمت الكلمة فيها. وهذا التعدد كما يدل على أهمية الكلمة من جهة فإنه يفرض البحث في المعاني المختلفة، والأحوال والدلالات المتعددة التي استخدمت فيها هذه الكلمة، فأهمية هذا البحث ينبع

[1] هود 7.
[2] الأنبياء 30.
[3] النور 45.
[4] الفرقان 48
[5] عبس 24-32.
[6] النحل 14.

ISSN: 2462-2508

من أهمية الكلمة وكثرة استخداماتها في القرآن الكريم. كما ينبع من أهمية الماء في حياة الإنسان.

أسباب اختيار الموضوع لكتابة المقالة

1. الماء هو عصب الحياة للإنسان ومنه خلق وبه يعيش.

2. عناية القرآن الكريم بالماء، وتكرار لفظ الماء في آيات كثيرة في القرآن الكريم تصل إلى 215 آية.

3. كثرة الدلالات التي استخدمت لها كلمة الماء في القرآن الكريم.

4. الدراسات حول الماء أخذت طابعا علميا أو بيئيا أو اقتصاديا وهذه المقالة تتناول الماء من الناحية القرآنية.

5. يلعب الماء اليوم دورا كبيرا في العلاقات الإنسانية والسياسية، بل قد يكون أحد أهم أسباب الحروب والنزاعات في العالم، والمقالة تلقي الضوء على الاستخدامات القرآنية للماء والسبل الأنفع للاستفادة منه.

مشكلة البحث: لما كان استخدام القرآن الكريم للماء متعددا، والمعاني التي دلت علها الكلمة متنوعة، والأسلوب القرآني في تناول دلالات الكلمة متفردا، كان من الممكن أن يقع التالي لآيات الله في خطأ أو في إشكالية في الفهم؛ عن أي ماء تتكلَّم الآية؟ ما نوع الماء؟ لمَ ذكر في هذا السياق دون غيره؟ هل له حال واحدة أم أحوال متغيرة؟ ما الغاية من ذكر الماء في الآية؟ تحاول هذه المقالة الإجابة بشكل مختصر على هذه التساؤلات.

أهداف المقالة:

1. جمع الآيات الكريمة المتعلقة بالماء.

2. تفسير هذه الآيات تفسيرا موضوعيا.

3. إبراز مدى عناية القرآن الكريم بالماء.

4. توضيح بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالماء.

5. ذكر الآداب الشرعية لاستخدام الماء.

6. توضيح المعاني المختلفة للماء في القرآن الكريم.

7. إلقاء الضوء على أهمية السياق القرآني في فهم المقصود من كلمة الماء في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة: رسالة دكتوراه بعنوان **الماء والرياح في القرآن الكريم** للدكتور عبد الرحمن هشبول الشهري.

منهج البحث: اتبع الكاتب في المقالة المنهج المنهج الاستقرائي وذلك من خلال الخطوات الآتية:

1. ذكر أقسام الماء من حيث صفته وسبب نزوله، والاستشهاد بالآيات القرآنية الدالة على ذلك مع تفسير مختصر لهذه الآيات وفق ما يقتضيه المقام.

2. ذكر أقسام الماء من حيث القوة والضعف والكثرة والقلة والاستشهاد بالآيات الدالة على ذلك مع تفسير يوضح المعاني المقصودة في النص القرآني.

3. ذكر أنواع الماء الموجود في الأرض ومصادره والاستشهاد بالآيات الدالة على ذلك.

ISSN: 2462-2508

4. ذكر أقسام الماء من حيث قدرة الإنسان على الاستفادة منه مع الاستشهاد بالآيات الدالة على ذلك.

5. الاستشهاد بمعاجم اللغة حيث اقتضى المقام.

6. الاستشهاد بالأحاديث الشريفة التي تساعد على فهم النص القرآني.

7. الاستشهاد بأقوال المفسرين والعلماء في النقطة موضوع البحث.

8. ختم المقالة بخلاصة وتوصيات عامة.

أولا: الماء في الدنيا؛ الماء النازل من السماء والماء الموجود في الأرض.

الماء النازل من السماء: استخدم القرآن الكريم ألفاظاً كثيرة لوصف الماء النازل من السّماء وذلك بحسب صفة الماء ذاته أو بحسب الغاية من إنزاله، أو بحسب قوته وضعفه، أو بحسب كثرته وقلته. وسأبين فيما يلي هذه الألفاظ والآيات التي وردت فيها.

الماء من حيث صفته وسبب نزوله:

1. المطر: وردت كلمة المطر في القرآن الكريم بمعنيين:

الأول: المطر بمعنى الحجارة التي تنزل من السماء عقاباً لقومٍ كافرين، وهو غالب استخدام القرآن الكريم لهذه الكلمة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾[1]. وقوله تعالى:﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[2].

الثاني: المطر المعروف، وهو الماء النازل من السماء. قال تعالى:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[3]. ولم ترد كلمة المطر بهذا المعنى في غير هذا الموضع.

2. الماء: جاء بلفظ الماء دون وصفٍ كما في قوله تعالى:﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾[4]. وكقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[5].

3. الماء الطَّهور: قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾[6]. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية:(المسألة الأولى: قوله تعالى: "ماءً طهوراً" يُتطهَّرُ به كما يقال وَضوء للماء الذي يُتوضأ به. وكلَ طَهورٍ طاهرٌ وليس كل طاهرٍ طَهور. فالطَّهور بفتح الطاء الاسم، وكذلك الوَضوء والوَقود، وبالضم المصدر، وهذا هو المعروف في اللغة. المسألة الثانية: المياه المنزّلة من السماء والمودعة في الأرض طاهرة مطهّرة على

[1] الحجر 74.
[2] الشعراء 173، سورة النمل 58.
[3] النساء 102.
[4] البقرة 22.
[5] فاطر 27.
[6] الفرقان 48.

ISSN: 2462-2508

اختلاف ألوانها وطُعومها وأرياحها حتى يخالطها غيرها)[1].

4. الماء المبارك: قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾[2]. يقول الإمام الطبري:(مطراً مباركاً، فأنبتنا به بساتين وأشجاراً، وحبَّ الزرع المحصود من البُرّ والشعير وسائر أنواع الحبوب)[3]. ويقول الإمام ابن كثير: (أي نافعاً، "جنات وحب الحصيد" أي الحدائق وما يُدّخر حبه ويراد لذاته من الزرع)[4]. ويقول الرازي:(وذكر السّماء والأرض للاستدلال بما ينزل من السماء من ماء، وما يخرج من الأرض من نبات وزروع وبساتين، منها ما هو باقٍ يقطف ثماره كل عام، ومنها ما يحصد كلّه ثم يزرع من جديد وهذا من كمال القدرة)[5].

5. الغيث: قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[6]. يقول الإمام ابن كثير: (أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزّله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه، كقوله تعالى:﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾[7]. وقوله تعالى: "وينشر رحمته" أي يعمّ بها الوجود على أهل ذلك القُطر وتلك الناحية)[8]. وقد جاء ذكر الغيث في القرآن الكريم في ثلاث آيات في ثلاث سور، هذه واحدة منها والثانية هي قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ... ﴾[9]. وهذه الآية جاءت ضمن مفاتيح الغيب الخمسة التي اختصّ بها الله تعالى وهي: علم الساعة، ونزول الغيث، وعلم ما في الأرحام، وعلم أرزاق العباد، وعلم أين تموت كل نفس. والآية الثالثة التي ذكر فيها الغيث هي قوله تعالى:﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾[10]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:(وفي آية الحديد "كمثل غيث أعجب الكفار نباته" والغيث هو المطر يأتي بعد قنوط الناس، كما قال تعالى: "وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا" وبكونه يعجب الكفار نباته إذاً فهو قد أغاثهم وأعانهم ورحمهم به. ودخوله في المثل سببٌ فيما أعجب الزراع من نبات الزرع وما أعجب الكفار من أحوال الدنيا، وكما يفرحوا بالزرع النامي والغيث بعد القنوط يفرحوا بالدنيا المقبلة عليهم بعد حرمانها أو قلة اليد فيها)[11].

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، ط4، القاهرة: دار الكتب المصرية، 13/ 40-41.

[2] ق 9.

[3] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 152/26.

[4] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، ط2، بيروت، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ، 222/4.

[5] الرازي، أبو بكر محمد بن يحي، مفاتيح الغيب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ. 157/28.

[6] الشورى 28.

[7] الروم 49.

[8] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 116/4.

[9] لقمان 34.

[10] الحديد 20.

[11] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 314/4.

ISSN: 2462-2508

6. الرحمة: أطلق القرآن الكريم اسم الرحمة على المطر لأنّ الله يرحم به العباد ويغيثهم بعد القحط والجفاف فيكون فيه حياة الناس والزرع والدواب، فالرحمة فيه تعمّ جميع المخلوقات. وقد وردت آيات عدّة في تسمية المطر رحمة منها قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ... ﴾[1]. وقوله تعالى:﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. ﴾[3]. وعند النظر في تفسير هذه الآيات نجد عموم المفسرين يفسّرون الرحمة الواردة فيها بالمطر. يقول ابن كثير عند تفسير الآية:("بين يدي رحمته" أي بين يدي المطر)[4]. وعند تفسيره للآية "ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته" يقول: (أي بين يدي السّحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدبين)[5]. وفي آيتي الروم "وليذيقكم من رحمته" يقول: (أي المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد)[6].

7. الرّزق: سمّى الله تعالى المطر رزقاً في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها قوله تعالى:﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[7]. وقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾[8]. وقوله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[9]. والمفسّرون على أنّ تفسير "رزقاً" الواردة في الآيات هو المطر، وسمّى المطر رزقاً لأنّه سبب الرزق[10]. "وفي السماء رزقكم" هو المطر لأنّه سبب الأقوات[11].

الماء من حيث أوصاف المطر من قوة وضعف وكثرة وقلّة.

1. الرَّجع: قال تعالى:﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[12]. سمّى الله تعالى المطر في الآية "الرّجع" أي الذي يرجع مراراً. يقول الزمخشري عند تفسير الآية:(وقيل إنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السّحاب تحمل الماء من بحار الأرض، ثمّ يرجعه إلى الأرض، وقيل سمّته العرب رَجعاً لأجل التفاؤل ليرجع عليهم. وقيل لأنّ الله يرجعه وقتاً بعد وقت)[13].

2. الوابل: الوابل عند أهل اللغة: المطر الشديد[14]. وجاء في لسان العرب: الوابل المطر الشديد الضخم

[1] الأعراف 57.
[2] النمل 63.
[3] الروم 46.
[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 223/2.
[5] المصدر السابق 373/3.
[6] المصدر السابق 337/3.
[7] الجاثية 5.
[8] غافر 13.
[9] الذاريات 22.
[10] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 148/4. الزمخشري، الكشاف، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ. 285/4. الشوكاني، فتح القدير، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1414هـ. 4/5.
[11] انظر: الزمخشري، الكشاف 40/4. الشوكاني، فتح القدير 85/5.
[12] الطارق 11.
[13] انظر: الزمخشري، الكشاف 242/4.
[14] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط1: بيروت: دار الفكر، 1399هـ. ص 1081.

ISSN: 2462-2508

القطر[1]. وجاء في كتاب المفردات للراغب: الوابل الثقال القطر، يقال أرض مطلولة وموبولة ومجودة من الجود[2].

وفي القرآن الكريم وردت كلمة "وابل" في أكثر من آية منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[3]. في هذه الآية يضرب الله مثلاً للمنفق ماله رياء وسمعة، لا من أجل رضى الله تعالى بل من أجل نيل مدح الناس وقولهم عنه إنه منفق كريم. حال هذا المنفق كحال الصخر والحجر الأملس يغطّيه شيء من التراب، فجاءه مطرٌ شديدٌ عصف بهذا التراب ولم يُبق منه شيئاً. وهكذا إنفاق المنفق رياء لا يجد له منها ثواباً في الآخرة[4].

3. الطّل: الطَّلّ هو أضعف المطر، وما له أثرٌ قليل، وجمعه طِلال وهو النّدى[5]. وقد ورد ذكر الطَّلّ في القرآن الكريم مرّة واحدة عقب الآية التي ذكرت الوابل وهي قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[6]. في الآية السابقة ضرب الله مثلاً لمن ينفق ماله رياء الناس، وفي هذه الآية يضرب الله مثلاً للمؤمن الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله بالجنّة التي تثمر وتنتج ضعف ما كانت تنتج من قبل بسبب الوابل، وإن لم يأتها المطر الكثير وجاءها الطّلّ الذي هو المطر الضعيف القليل، فإنها لا تظلم من ثمرها شيئاً، وهذا مثل بليغ يصوّر حال المنفق في سبيل الله في أوضح صورة[7].

4. الوَدْق: الوَدَق في اللغة المطر، يقال هو هيدب السّحاب، ما تهدّب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط، والودق المطر كله شديده وهيّنه[8]. وقد ذكر القرآن الكريم لفظ الودق بمعنى المطر النازل من بين طبقات السّحاب في موضعين: الأول في سورة النور في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾[9]. والموضع الثاني في سورة الروم وهو قوله تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾[10].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ. 718/11.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، 1412هـ. ص 547.

[3] البقرة 264.

[4] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 319/1-320. والزمخشري، الكشاف 313/1، والشوكاني، فتح القدير 285/1-286.

[5] انظر: ابن منظور، لسان العرب 295/1. والأصفهاني، المفردات ص 315.

[6] البقرة 265.

[7] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 219/1-320، الزمخشري، الكشاف 313/1، الشوكاني، فتح القدير 285/1-286.

[8] انظر: ابن منظور، لسان العرب 373/10.

[9] النور 43.

[10] الروم 48.

ISSN: 2462-2508

والودق عند جمهور المفسّرين هو المطر، يقال ودقت السحابة فهي وادقة، وودق المطر يدق أي قطر يقطر. ومعنى "من خلاله" من فتوقه التي هي مخارج القطر[1]. إلّا أنَ الزمخشري قد خالف ذلك حيث يرى أنّ الودق هو السّحاب أو المطر الشديد[2].

5. الثجّاج: ثجّ: الثاء والجيم أصل واحد، وهو صبّ الشيء. يقال: ثجّ الماء إذا صبّه، وماء ثجاج أي صباب. والثّجّ: الصّبُ الكثير، وخصّ بعضهم به صبّ الماء الكثير، ومطرٌ ثجاج شديد الانصباب[3]. وقد ورد وصف المطر بالثجّاج في القرآن الكريم في موضعٍ واحد في سورة النبأ وهو قوله تعالى:﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾[4]. يقول الشوكاني عند تفسير هذه الآية:(والثجّاج المنصب بكثرة على جهة التتابع، يقال ثجّ الماء أي أساله بكثرة)[5]. ويقول الرازي في تفسيرها:(وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به)[6].

ونلاحظ في الآية أنّ لفظ ثجاجاً مناسب لكلمة "المعصرات" أي السحب التي تعصر، وكأنه يعصر السحب كقطعة إسفنج فينصب الماء منها بقوّة وكثرة وتتابع، وهذا من بلاغة القرآن الكريم.

6. الصيّب: صوب: الصاد والواو والباء أصل صحيح يدلّ على نزول شيء واستقراره، ومنه الصّوب وهو نزول المطر، والمطر النازل أيضاً يقال له صوب. ويقال: الصيّب السّحاب ذو الصوب، وهو خالص ماء السحاب، فكأنها مشتقة من ذلك[7].

وقد ذكر القرآن الكريم الصّيّب مرة واحدة في سورة البقرة عند الحديث عن المنافقين في قوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[8]. يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآية:(الصيّبُ المطر الذي يصوّب، أي ينزل ويقع، ويقال للسحاب صيّبٌ أيضاً، وتنكير صيّب لأنه أريد به نوع من المطر شديد هائل)[9].

7. الغَدَق: الغَدَق: الغين والدال والقاف أصل صحيح يدلّ على غُزر وكثرة ونعمة، ومن ذلك الغدق وهو الغزير الكثير[10]. والغدق المطر الكثير العام، وقد غيدق المطر كثُر، وهو الماء الكثير وإن لم يكن مطراً[11].

وقد ورد ذكر لفظ الغدق وصفاً للماء مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الجن، وهي قوله تعالى:﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾[12].

---

[1] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 298/3. الزمخشري، الكشاف 245/3. الشوكاني، فتح القدير 41/4.

[2] الزمخشري، الكشاف 92/2.

[3] انظر: ابن منظور، لسان العرب 221/2. ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 179.

[4] النبأ 14.

[5] الشوكاني، فتح القدير 364/5.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب 31/9.

[7] ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 179.

[8] البقرة 19.

[9] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف 81/1-82.

[10] ابن فارس، مقاييس اللغة ص 842.

[11] ابن منظور، لسان العرب 282/10.

[12] الجنّ 16.

ISSN: 2462-2508

والآية في سياق الحديث عن الجن أي لو استقاموا على طريقة الهدى والطاعة وعبادة الله تعالى، لأنعمنا عليهم، ولوسّعنا رزقهم، وذكر الماء الغدق وهو الكثير لأنه أصل المعاش وسعة الرزق[1].

8. الماء المُنهَمِر: الهمرُ صبُّ الدمع والماء والمطر، همرَ الماء والدّمع يهمرُ همراً: صبّ، وانهمر كهمر، فهو هامر ومنهمر: سال، والهمّار: السحاب السيّال[2]. وقد ورد لفظ "المنهمر" وصفاً للماء في موضع واحدٍ في القرآن الكريم في سورة القمر، وهو قوله تعالى:﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[3]. وذلك في سياق ذكر العذاب الذي لحق بقوم نوح عليه السلام حيث فجّر الله الأرض عيوناً وانهمر عليهم المطر من السماء فأغرقهم الله بالطوفان. جاء في الكشاف:(منهمر: مُنصَب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوماً)[4]. وجاء في مفاتيح الغيب للرازي:(بماء منهمر: والانهمار الانسكاب والانصباب صباً شديداً)[5].

الماء الموجود في الأرض: من أعظم نعم الله على الإنسان وجود الماء في الأرض، فالماء موجود في البحار والمحيطات والأنهار والآبار والعيون والأودية، والإنسان يستفيد منها جميعها إمّا لشربه وسقي حيواناته ومزروعاته كماء الأنهار والآبار والعيون. وإمّا لاستخراج خيراتها والاستفادة منها كالبحار والمحيطات والأنهار أيضاً، وكذلك لتحمله وتجارته حيث يشاء. كل ذلك من فوائد الماء الذي أنعم الله به على الإنسان وجعل به الحياة على الأرض صالحة له. وقد امتنّ الله سبحانه في القرآن الكريم على الإنسان بهذه النعمة وذكّره بها في مواضع عدة ليشكر الله عليها. وقد أنذر الله الإنسان بتحويل الماء الذي يتمتع به من حالٍ صالحة له إلى حالة لا يستطيع الاستفادة منها إن هو أصرّ على ضلاله وعصيانه لربه وإشراكه غير الله في عبادته. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ. لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[6].

ونلاحظ هنا أنّ الله تعالى قد أنذر الإنسان بتحويل مائه من عذبٍ إلى مالح أجاج، ولم ينذره بتحويله من مالحٍ إلى عذب، مع أنّ كليهما ضروريٌّ لحياة الإنسان ولا غنى له عنه! فبانعدام الماء العذب يموت الإنسان والحيوان والنبات من العطش وتنعدم الحياة على الأرض. وبانعدام الماء المالح تتعفن الأرض وتفسد، ومع الزمن تفقد صلاحيتها لحياة الإنسان عليها، فالملح حافظ للأرض من التعفن والفساد، كذلك يخسر الإنسان جميع الثروات البحرية وفائدة التنقل عبر البحار، إضافة إلى دور البحار في تكوين السُحب ونزول المطر. فلماذا لم ينذر الله تعالى الإنسان بتحويل مائه المالح إلى عذب وأنذره بعكسه؟

الجواب في رأيي لا يعود إلى مزيد أهمية لأحدهما على الآخر، بل لإدراك الإنسان لتلك الأهمية من جهة،

[1] الزمخشري، الكشاف 629/4.
[2] ابن منظور، لسان العرب 266/5.
[3] القمر 11.
[4] الزمخشري، الكشاف، 434/4.
[5] الرازي، مفاتيح الغيب، 296/29.
[6] الواقعة 68-70.

ISSN: 2462-2508

ولسرعة إحساسه وتأثره بفقد أحدهما من جهة أخرى. فليس كل إنسان يدرك مسألة تعفن الأرض بفقد الماء المالح، أو دور البحار في تكوين المطر. كما أنّ حصول هذا التأثير لا يكون سريعاً في حياة الإنسان بل يستغرق زمناً ليدرك الإنسانُ أثره. ومن جانب آخر قد يستغني الإنسان عن الثروة البحرية سواءً سمكها أو ما يستخرج منها من حلية كاللؤلؤ والمرجان وغيرها، كما قد يستغني عن التنقل عبر البحار خصوصاً في زمننا حيث التنقل الجوي أسرع وأيسر.

أمّا الماء العذب فيشعر كل إنسان بفقده في زمنٍ قصير مهما كان مكان أو طبيعة حياته. فلو أنّ القرآن قد أنذر بتحويل المالح إلى عذب لجادل كثيرٌ من الناس في ذلك مدّعياً قدرته على الاستغناء عنه، بل قد يدّعي البعض بأن ذلك نعمة وليست عقوبة! إذ أنَ شعوره بالحاجة إلى الماء العذب أكبر بكثير من شعوره بالحاجة إلى الماء المالح. أمّا الإنذار بتحويل الماء العذب إلى مالح فهو بالنسبة للإنسان طامّة كبرى ومصيبة كبيرة تهدّد حياته، وبذلك فإنه يأخذ هذا الإنذار على محمل الجِدّ ويجد في نفسه صدى وتأثراً كبيراً. فسبحان العالم بأحوال العباد.

وقد قسّم القرآن الكريم الماء على الأرض من حيث قربه من الإنسان أو بعده عنه، أي: من حيث قدرة الإنسان على الاستفادة منه أو عدم الاستفادة إلى قسمين: الماء المعين، والماء الغور.

كما قسّم الماء من حيث صلاحيته لشرب الإنسان إلى قسمين: الماء العذب، والماء المالح. وسأستعرض فيما يلي الآيات الكريمة التي تناولت هذه الأنواع.

الماء من حيث قدرة الإنسان على الاستفادة منه:

1. الماء الغور: جاء في اللسان: غور كل شيء قعره، وغار الماءُ وغوّر ذهب في العيون، وماءٌ غَور: غائر وصف بالمصدر. وغوّر: ذهب في الأرض وسفل فيها[1].

وقد ورد وصف الماء بلفظ "غوراً" في موضعين في القرآن الكريم، كلاهما في معرض الإنذار والتهديد الأول جاء في سورة الكهف على لسان أحد الصاحبَين في قصة أصحاب الجنتَين، وهو في معرض الإنذار لصاحبه بأن يصبح ماء جنته غائراً في الأرض فلا يقدر على الاستفادة منه، قال تعالى:﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾[2].

والموضع الثاني جاء في سورة الملك حيث قال تعالى في معرض إنذار الإنسان بإبعاد الماء عن متناول يده وحرمانه من القدرة على الاستفادة منه مع وجوده في الأرض:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾[3].

يقول الرازي في تفسير هذه الآية:(والمقصود أن يجعلهم مقرّين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر، أي أخبروني إن صار ماؤكم ذاهباً في الأرض

[1] ابن منظور، لسان العرب 33/5.

[2] الكهف 41.

[3] الملك 30.

ISSN: 2462-2508

فمن يأتيكم بماءٍ معين، فلا بدّ وأن يقولوا: هو الله، فيقال لهم حينئذٍ: فلمَ تجعلون مَن لا يقدر على شيءٍ أصلاً شريكاً له في المعبودية؟ وقوله غوراً: أي غائراً ذاهباً في الأرض، يقال: غار الماءُ يغورُ غوراً، إذا نضب وذهب في الأرض والغَور ها هنا بمعنى الغائر، سمّي بالمصدر كما يقال: رجلٌ عدلٌ ورضاً[1].

2. **الماء المعين:** المعين أي القريب الذي تراه العيون. جاء في اللسان: وماء معين كمعيون، والماء المعيون: الظاهر تراه العين جارياً على وجه الأرض[2]. وجاء في المفردات للراغب: الماء المعين: أي ظاهر للعيون وهو مشتق من عين الماء[3].

وقد ورد وصف الماء بلفظ المعين في القرآن الكريم في أربع مواضع: الأول في سورة المؤمنون وهو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[4]. والثاني في سورة الصافات وهو قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾[5]. والثالث في سورة الواقعة وهو قوله تعالى:﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾[6]. والرابع في سورة الملك وهو قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾[7].

أمّا آيتي الصافات والواقعة فهما تتحدّثان عن نعيم المؤمنين في الجنة، وسأتحدّث عنهما عند تناول هذا الموضوع وسأتناول هنا تفسير آيتيْ المؤمنون والملك.

آية "المؤمنون": ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. يقول الإمام القرطبي عند تفسير الآية:(الرّبوة المكان المرتفع من الأرض، وقيل: الأرض المستوية التي يُستقرّ عليها، وقيل: ذات ثمار، ولأجل الثمار يستقرّ فيها السّاكنون. و"معين" ماء جار ظاهر للعيون يقال: مَعين ومُعُن، كما يقال: رغيف ورُغُف. وقال الزجّاج: هو الماء الجاري في العيون، فالميم على هذا زائدة كزيادتها في مبيع، وكذلك الميم زائدة في قول مَن قال إنّه الماء الذي يُرى بالعين. وقيل: فعيل بمعنى مفعول. قال عليّ بن سليمان: يقال معن الماء إذا جرى فهو معين ومعيون)[8].

آية الملك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾. تناولنا الجزء الأول من الآية عند الحديث عن "غوراً" والآن نتحدّث عن الكلمة المقابلة لها تماماً وهي "معين". فالغور كما أسلفنا هو الماء الغائر في الأرض لا يصل إليه الإنسان، والمعين هو الظاهر الذي يراه الإنسان بعينه ويصل إليه بسهولة ويسر. وفي اختيار رب العزة للفظ "معين" ليقابل لفظ "غوراً " بلاغة وحسن اختيار جميل لفظاً ومعنى. يقول ابن عطية عند تفسير هذه الآية: (وقفهم الله تعالى على مياههم التي يعيشون منها إن غارت أي ذهبت في الأرض، ومن يجيئهم بماء كثير واف، والغور: مصدر يوصف به على معنى المبالغة. والمعين: فعيل

[1] الرازي، مفاتيح الغيب 597/30.
[2] ابن منظور، لسان العرب 304/13.
[3] الراغب الأصفهاني، المفردات ص 368.
[4] المؤمنون 50.
[5] الصافات 45.
[6] الواقعة 18.
[7] الملك 30.
[8] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 127/12.

ISSN: 2462-2508

من معنى الماء إذا كثر، أو مفعول من العين، أي جارٍ كالعين، أصله معيون. وقيل: هو من العين، لكن من حيث يرى بعين الإنسان لا من حيث يشبه بالعين الجارية)[1].

الماء من حيث العذوبة والملوحة: يقسم الماء الموجود في الأرض إلى قسمين: الماء العذب والماء المالح. وقد سبق أن تحدّثنا عن الماء النازل من السماء وأنّه ماء عذبٌ صالح للإنسان ما لم يتغير باختلاطه بما في الأرض. ولكن الماء النازل من السماء ليس هو المصدر الوحيد للماء العذب، ففي الأرض أنهار وعيون وينابيع هي أيضاً من مصادر الماء العذب. كما أنّ الماء المالح موجود في البحار والمحيطات وكلاهما نعمة امتنّ الله بها على عباده، ومن كليهما يستفيد الإنسان ويسدّ حاجاته. وسأتحدّث هنا عن تقسيم الآيات التي ذكرت هذين القسمين.

1. الماء العذب: قال ابن فارس:(عذب: العين والذال والباء أصل صحيح لكن كلماته لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعها إلى شيء واحد. فمن الباب: عذب الماء يعذب عذوبة فهو عذب طيب. وأعذب القوم إذا عذب ماؤهم واستعذبوا، وإذا استقوا وشربوا عذباً)[2]. وفي لسان العرب:(والعذب من الشراب والطعام: كل مستساغ، والعذب: الماء الطيب، ماؤه عذبة وركية عذبة)[3]. وقد وصف الله تعالى الماء بلفظ العذب مقترناً بلفظ "فرات" في آيتين في القرآن الكريم في سورتي الفرقان وفاطر، كما ذكره بلفظ "فرات" منفصلاً في آية واحدة فقط في سورة المرسلات. وسأتناول الآيات الثلاث بشيءٍ من التوضيح:

آية الفرقان وهي قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾[4]. يقول ابن كثير في تفسير الآية:(مرج البحرين أي خلق الماءين: الحلو والملح، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار، وهذا هو البحرُ الحلوُ الفراتُ العذبُ الزّلال)[5]. ويقول الرازي:(يدلّلُ الله على عظيم قدرته ووجوب توحيده من خلال التقاء البحرين: الملح الأجاج، والعذب الفرات، فلا يختلط ماؤها حتى أنّ هذا البحر العذب الفرات تزداد عذوبة مائه حتى يصير إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه، وأنّه سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وجعل من عظيم اقتداره برزخاً حائلاً من قدرته)[6]. ويقول القرطبي:(مرجَ: خلّى وخلط وأرسل يقال: مرجته إذا خلطته، ومرج الدينُ والأمرُ اختلط واضطرب. هذا عذبٌ فرات: أي: حلوٌ شديدُ العذوبة).[7]

آية فاطر وهي قوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[8].

[1] ابن عطية، أبو بكر عبد الحق بن مالك، المحرّر الوجيز، تحقيق عبد السلام محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ، 71/16.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة 259/4.

[3] ابن منظور، لسان العرب 583/1.

[4] الفرقان 53.

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 117/6.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب 100/24.

[7] القرطبي، أحكام القرآن 58/13.

[8] فاطر 12.

ISSN: 2462-2508

يقول ابن كثير في تفسير الآية:(يقول تعالى منبهاً على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة "وخلق البحرين" العذب الزُّلال، وهو هذه الأنهار السّارحة بين الناس من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار وهي عذبة سائغٌ شرابها لمن أراد ذلك)[1]. ويقول البيضاوي:(الفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره)[2].

آية المرسلات وهي قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾[3].

قال ابن فارس: الفاء والراء والتاء كلمة واحدة، وهي الماء الفرات. وهو العذب يقال: ماءٌ فرات، ومياهٌ فرات[4]. وفي لسان العرب: والفرات أشدّ الماء عذوبة، وقد فرت الماء يفرت فروتة إذا عذب، فهو فرات[5].

يقول ابن كثير في تفسير الآية:("وجعلنا فيها رواسي شامخات" يعني: الجبال، أرسى بها الأرض لئلّا تميد وتضطرب. "وأسقيناكم ماءً فراتاً" عذباً زُلالاً من السحاب، أو مّا أنبعه الله من عيون الأرض)[6]. ويقول ابن عطية:("الفرات": الصافي العذب، ولا يقال للملح فرات، وهي لفظة تجمع ماء المطر ومياه الأنهار)[7].

وقد تساءلت أثناء كتابتي هذه المقابلة عن الحكمة من الجمع بين صفتي "عذب" و"فرات" في آيتي الفرقان وفاطر بينما ذكرت صفة "فرات" وحدها في سورة المرسلات. ولم أجد أحداً من المفسرين قد طرح هذا التساؤل من قبل، ولذا لم يكن الوصول إلى جوابً شاف في هذه المسألة سهلاً. وأثناء قراءتي لتفسير الآيات الثلاثة في تفاسير مختلفة وجدت طرف خيط للجواب في تفسير ابن عطية حيث قال بأنّ لفظة فرات تجمع ماء المطر ومياه الأنهار، فقد وصف الله تعالى الماء الموجود في الأرض من الأنهار والينابيع بصفة "عذب" وأضاف إليها لفظ "فرات" ليفيد وصول هذا الماء إلى غاية العذوبة، فالفرات أشدّ الماء عذوبة، لكنه لم يصف الماء النازل من السماء بصفة "عذب"، ولما كان في سورة المرسلات يتحدّث عن الماء النازل من السماء والماء الموجود في الأرض (الأنهار) فقد استعمل لفظ "فرات" دون لفظ "عذب" إذ أنّ لفظ "فرات" يدلّ على الاثنين معاً وهو ما لا يدلّ عليه لفظ "عذب". وهذا يعني أنّ هناك صفتين للماء هنا لا صفة واحدة وهما صفتي "عذب" وتعني الحلو وهي تقابل صفة "مالح". وصفة "فرات" وتعني الزلال المستساغ وهي تقابل صفة "أجاج". والله تعالى أعلم.

2. الماء المالح: في آيتي الفرقان وفاطر واللتين مرّ ذكرهما، يذكر رب العزة الماء العذب الفرات ويذكر مقابله أيضاً الماء الملح الأجاج. فمياه الأنهار والينابيع

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 540/6.
[2] البيضاوي، أنوار التنزيل 256/4.
[3] المرسلات 27.
[4] ابن فارس، مقاييس اللغة، ص834.
[5] ابن منظور، لسان العرب 65/2.
[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 299/8.
[7] ابن عطية، المحرّر الوجيز 419/5.

ISSN: 2462-2508

الصالحة لاستخدام الإنسان والحيوان والنبات هي العذب الفرات، ومياه البحار والمحيطات غير الصالحة للإنسان هي الملح الأجاج. وسأنقل هنا آراء علماء اللغة والتفسير في معنى "الملح الأجاج".

الملح: قال ابن فارس:(الميم واللام والحاء أصل صحيح له فروع تتقارب في المعنى وإن كان في ظاهرها بعض التفاوت، فالأصل البياض، منه الملح المعروف وسمي لبياضه)[1]. وقال الراغب:(المِلح، الماء الذي تغيّر طعمه التغير المعروف وتجمّد ويقال له ملح إذا تغيّر طعمه وإن لم يتجمّد، فيقال ماء ملحٌ وقلّما تقول العرب ماء مالح)[2].

الأجاج: جاء في مقاييس اللغة:(أجّ، أمّا الهمزة والجيم لها أصلان: الحفيف والشدّة إمّا حرّاً وإمّا ملوحة، والماء الأجاج الملح)[3]. وجاء في المفردات للراغب:(شديد الملوحة والحرارة، من قولهم أجيج النار، والمياه المتموّجة لكثرة اضطرابها)[4].

أمّا تفسير "ملحٌ أجاج" الواردة في آيتي الفرقان وفاطر، فقد تقارب تفسير العلماء لها؛ يقول القرطبي عند تفسير الآية:(وهذا ملح أجاج: أي فيه ملوحة ومرارة)[5].

ثانيا:الماء في الآخرة؛ نعيم في الجنة وعقابٌ في الآخرة.

الماء نعيمٌ في الجنّة: ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الماء كأحد وجوه نعيم المؤمنين في الجنة، ومنّ عليهم بذلك وعدّه من أعظم وجوه النعيم. وقد ذكر القرآن الكريم الماء في الجنة بأشكالٍ عديدة سأكتفي هنا بذكر كل شكلٍ ومعناه والآية التي ورد فيها.

1. الأنهار: جاء ذكر الأنهار في الجنة ثلاثٌ وأربعون مرة كلها بالجمع إلا واحدة وهي قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾[6]. وهذا تأكيدٌ على عظمة نعمة الماء في الجنة. والآيات التي ذكرت الأنهار تكرّر فيها﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[7]أربعٌ وثلاثون مرة. ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾[8]مرة واحدة. ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾[9]ثلاث مرات. وفي المحصلة فالمعنى واحد وهو وجود أنهار الماء كنعيم في الجنة. وسأتناول إحدى هذه الآيات بالشرح. قال تعالى:﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[10]. يقول ابن كثير عند تفسيره للآية:(أي تنخرق

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة ص994.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص492.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، ص40.

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص6.

[5] القرطبي، أحكام القرآن 59/13.

[6] القمر 54.

[7] انظر: البقرة 25، 266. آل عمران 15، 136، 195، 198، النساء 13، 57، 122. المائدة 12، 85، 119. التوبة 72، 89. الرعد 35. إبراهيم 23. النحل 31. طه 76. الحج 14، 23. الفرقان 10. العنكبوت 58. الزمر 20. محمد 12. الفتح 5، 17. الحديد 12. المجادلة 22. الصّف 12. التغابن 9. الطلاق 11. التحريم 8. البروج 11. البينة 8.

[8] التوبة 100.

[9]. الأعراف 43. يونس 9. الكهف 31.

[10] آل عمران 15.

ISSN: 2462-2508

بين جوانبها وأرجائها الأنهار، من بين أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[1].

2. العيون: وقد ذكر الله تعالى العيون بصفات عديدة منها قوله تعالى:﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[2].﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[3].﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[4].﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾[5]

3. الماء المسكوب: وهو الماء الكثير النازل من الجبال كالشلّال وهو ممّا يتمنّاه الإنسان ويرتاح إليه ويستمتع به منظراً وفائدة. قال تعالى:﴿ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾[6].

4. نهر الكوثر: وهو حوض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–الذي خصّه به الله تعالى وهو كما ورد في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقول: {أنا فرطكم على الحوض فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً}[7]. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في آية واحدة هي قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[8].

الماء عقاب لأهل النار في الآخرة: كما ذكر الله تعالى الماء بصفات معينة كنعيم لأهل الجنة في الآخرة، ذكر كذلك الماء بصفات خاصّة كعقاب وعذاب لأهل النار في جهنم والعياذ بالله، ومن ذلك الماء:

1. الماء الحميم: وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في أربع عشرة آية[9]. وسأتناول هنا آية واحدة منها وهي آية سورة "محمد" لما فيها من مقارنة بين نعيم أهل الجنة بالماء الطيب وعقاب أهل الجنة بالماء الحميم. قال تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[10].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية:(يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعدها المتقون وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه "فيها أنهارٌ من ماء غير آسنٍ"، يقول تعالى ذكره في هذه

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 22/2.

[2] الإنسان 6

[3] الرحمن 50

[4] الرحمن 66

[5] الإنسان 18

[6] الواقعة 31

[7] انظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: "واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة" 46/9 حديث رقم 7050. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا 1793/4، حديث رقم 2290.

[8] الكوثر 1

[9] انظر: الأنعام 70. يونس 4. الحج 19. الصافات 67. ص 57. غافر 72. الدخان 46، 48. محمد 15. الرحمن 44. الواقعة 42، 54، 93. النبأ 25.

[10] محمد 15.

ISSN: 2462-2508

الجنة التي ذكرها أنهارٌ من ماء غير متغيّر الريح، يقال منه: قد أسن ماء هذه البئر إذا تغيّرت ريح مائها فأنتنت، فهو يأسنُ أسناً. وقوله "كمن هو خالدٌ في النار" يقول تعالى ذكره: أمنّ هو في هذه الجنة التي صفتها ما وصفنا كمن هو خالدٌ في النار؟ وابتدئ الكلام بصفة الجنة، فقيل: مثل الجنة التي وعد المتقون، ولم يقل: أمّن هو في الجنة. ثمّ قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها "كمن هو خالدٌ في النار". وإنما قيل ذلك كذلك استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام، ولدلالة قوله "كمن هو خالدٌ في النار" على معنى قوله "مثل الجنة التي وعد المتقون". وقوله "وسقوا ماءً حميماً" يقول تعالى ذكره: وسقي هؤلاء الذين هم خلودٌ في النار ماءً قد انتهى حرّه فقطّع ذلك الماء ن شدّة حرّه أمعاءهم)[1].

2. الغسّاق: غسق: الغين والسين والقاف أصلٌ صحيح يدلّ على ظلمة، فالغسق الظلمة، والغاسق الليل[2]. ويؤيد ذلك قوله تعالى:﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[3].

وقد ورد لفظ "غسّاق" في القرآن الكريم في آيتين فقط مقروناً بلفظ "حميم". الأولى في سورة "ص" هي قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ. هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[4]. والثانية في سورة النبأ وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا. إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾[5].

أقوال المفسرين في تفسير "غسّاق": قال الإمام ابن كثير:(أمّا الحميم فهو الحارّ الذي قد انتهى حرّه، وأمّا الغسّاق فهو ضدّه وهو البارد الذي لا يستطاع من شدّة برده المؤلم)[6]. وقال الزمخشري:(والغساق – بالتخفيف والتشديد–ما يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها. وقيل: الحميم يحرق بحرّه، والغساق يحرق ببرده)[7].

3. عينٌ آنية: ورد ذكر "عينٍ آنية" في القرآن الكريم في آية واحدة في سورة الغاشية وهي قوله تعالى: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً. تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾[8]. ولكن وردت الصفة مقرونة بلفظ "حميم" في آية أخرى في سورة الرحمن وهي قوله تعالى:﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[9].

يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية:("تصلى ناراً حامية" أي: حارّة شديدةُ الحرّ. تسقى من عينٍ آنية أي: قد انتهى حرّها وغلياناها)[10].

4. الماء الصديد: ورد لفظ "صديد" في القرآن الكريم في آية واحدة في سورة إبراهيم (عليه السلام) وهي قوله تعالى:﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 166/22-168.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، ص848.

[3] الإسراء 78.

[4] ص 56-57.

[5] النبأ 24-25.

[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 78/7.

[7] الزمخشري، الكشاف 101/4.

[8] الغاشية 4-5.

[9] الرحمن 44.

[10] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 385/8.

ISSN: 2462-2508

صَدِيدٍ﴾[1]. يقول القرطبي في تفسير الآية:("ويسقى من ماءٍ صديد" أي: من ماء مثل الصديد، كما يقال للرجل الشجاع أسد، أي مثلُ الأسد، وهو تمثيل وتشبيه. وقيل: هو ما يسيل من أجسام أهل النار من القيح والدّم)[2].

5. ماء المهل: ورد لفظ "المهل" في القرآن الكريم في ثلاث آيات، اثنتان منها في وصف الماء الذي يشربه الكافر في جهنم، والثالثة في وصف السماء يوم القيامة. أمّا الآية الأولى فهي في سورة الكهف وهي قوله تعالى:﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[3]. والثانية في سورة الدّخان في قوله تعالى:﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[4]. والثالثة في سورة المعارج وهي قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[5].

أمّا معنى المهل فيقول الإمام ابن كثير في تفسيره:(قال ابن عباس: "المهل" ماءٌ غليظٌ مثل دُرديّ الزيت. وقال مجاهد: هو كالدم والقيح. وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حرّه. وقال آخرون: هو كلّ شيء أذيب)[6].

وهذا الماء ذاته الذي لم يقدّر بعض الناس قيمته وكونه نعمة من الله، فلم يشكر الله عليه وأشرك به سيكون في الآخرة شكلاً من أشكال عذابه في جهنم، فعند حاجته للماء لن يجد إلا ماءً يغلي كالمهل أو ماء الحميم أو الغساق أو الصديد جزاءً له على كفره بالله وكفران نعمته في الدنيا.

الخلاصة:

إنّ موضوع الماء في القرآن الكريم من الموضوعات الشيّقة التي تستحق أن تدرس وأن يصنّف فيها. فالقرآن الكريم قد ذكرَ الماء في الكثير من آياته بأسماء مختلفة ومناسبات عديدة، وهذا ممّا يدعو المسلم للتفكير في الحكمة الإلهية من ذلك، والغوص في الآيات القرآنية التي ذكرت الماء بأسمائه وأوصافه وأخواله المختلفة واستنتاج العلاقة بين المعنى اللغوي للكلمة التي يستخدمها القرآن الكريم اسمًا أو وصفًا للماء، وبين صفة الماء أو حاله أو الدور الذي يؤديه في حياة الإنسان.

التوصيات:

1. إعطاء المزيد من الأهمية للدراسات المتعلقة بموضوع الماء في القرآن.

2. تشجيع عمل دراسات مماثلة حول الماء في الحديث الشريف.

3. العمل على ربط الدراسات الشرعية في هذا المجال بالدراسات العلمية.

4. الاستفادة من خبرة المتخصصين في مجال الماء والبيئة للربط بين استخدامات القرآن الكريم لكلمة

[1] إبراهيم 16.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 351/9.

[3] الكهف 29.

[4] الدّخان 45.

[5] المعارج 8.

[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 155/5.

ISSN: 2462-2508

الماء وبين الدراسات العلمية حول واقع الماء في الدنيا وصفاته.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.
3. الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
4. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، 1412هـ.
5. الزمخشري، الكشاف، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.
6. الشوكاني، فتح القدير، ط1، بيروت: دار ابن كثير، 1414هـ.
7. صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.
8. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1374هـ.
9. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
10. ابن عطية، المحرّر الوجيز، تحقيق: عبد السلام محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.
11. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1: بيروت: دار الفكر.
12. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، ط4، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ.
13. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، ط2، بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ.
14. ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.